منهج الشيخ أبي بكر محمود غومي في تفسير آيات أهل الكتاب وأثره في بناء العلاقات بين المسلمين وغير المسلمين في نيجيريا.

د. مختار أبيديمي عبدالله
08032117863
abu.yusuf004@gmail.com

ملخص
تتناولت هذه الورقة منهج الشـــيخ أبي بكر محمود غومي في تفســـير الآيات القرآنية المتعلقة بأهل الكتاب، مع بيان أثر هذا المنهج في توجيه العلاقات بين المســـلمين وغير المســـلمين في نيجيريا. وينطلق البحث من إشكالية توظيف الخطاب القرآني الخاص بأهل الكتاب في مجتمع يتسم بالتعدد الديني، ومدى إســـهام هذا التوظيف في تعزيز التعايش الســـلمي أو ضـــبط الخلاف الديني في إطار الضـوابط الشرعية.يعتمد البحث على المنهج التحليلي والاسـتقرائي في دراسـة منهج الشـيخ. وأظهر البحث أن الشـيخ غومي ركّز في تفسـيره لآيات أهل الكتاب على التوحيد، ونبذ الغلو العقدي، وإقامة الحجة بالحكمة والموعظة الحسنة، مع التأكيد على المبدأ القرآني القائم على العدل والإنصاف، وأن أهل الكتاب ليسوا سواء.وتخلص الدراسة إلى أن تفسير الشيخ محمود غومي لآيات أهل الكتاب كان ذا طابع دعوي إصـلاحي مرتبط بالواقع، وأسـهم في توجيه الخطاب الإسـلامي نحو الحوار المنضـبط شرعًا، وتنظيم العلاقة مع غير المســـلمين على أســـاس الســـلم المجتمعي دون التنازل عن الثوابت العقدية، مما يجعل منه نموذجًا تفسـيريًا قابلاً للإفادة في المجتمعات الإسـلامية المعاصرة المتعددة الأديان. وقد قسمت هذه الورقة بعد المقدمة إلى أربعة مباحث ثم الخاتمة والمراجع.

تقديم
يشـــكّل التعدد الديني أحد أبرز ملامح الواقع الاجتماعي في نيجيريا، حيث يتعايش المســـلمون والمسيحيون في فضاء واحد تتداخل فيه الأبعاد الدينية والثقافية والسياسية. وقد أدّى هذا التعدد، في بعض مراحله، إلى توترات دينية اسـتدعت حضـورًا علميًا ودعويًا رشـيدًا قادرًا على ضـبط الخلاف الديني ضمن الأطر الشرعية، وتحقيق السلم المجتمعي دون التفريط في الثوابت العقدية.
ويحتلّ القرآن الكريم موقعًا مركزيًا في توجيه العلاقات بين المسـلمين وغير المسـلمين، ولا سـيما من خلال الآيات التي خُصِّـــصـــت للحديث عن أهل الكتاب، والتي جاءت بخطاب متوازن يجمع بين الدعوة إلى التوحيد، وتصـــحيح الانحراف العقدي، والإنصـــاف في الحكم، وتنظيم أســـاليب الحوار والتعايش. وقد شـكّلت هذه الآيات أسـاسًـا فكريًا ودعويًا اعتمد عليه عدد من العلماء في المجتمعات الإسلامية المتعددة الأديان.

ويُعدّ الشـــيخ أبو بكر محمود غومي (1924–1992م) من أبرز علماء نيجيريا الذين كان لتفســـيرهم للقرآن الكريم، وخطابهم الدعوي المرتبط به أثرٌ واضـــح في تشـــكيل الوعي الديني والعلاقة بين

المسلمين وغير المسلمين. فقد تعامل الشيخ مع آيات أهل الكتاب تعاملاً وظيفيًا إصلاحيًا، ربط بين النص القرآني ومتطلبات الواقع الاجتماعي، وجعل من التفسير أداة للدعوة، والحوار، وضبط الخلاف الديني. ويهدف هذا البحث إلى دراسة منهج الشيخ غومي في تفسير آيات أهل الكتاب، وبيان أثر هذا المنهج في العلاقات الإسلامية-المسيحية في نيجيريا. قسّم الباحث هذه المقالة إلى أربعة مباحث. أما المبحث الأول فيتناول ترجمة موجزة لحياة الشيخ أبي بكر محمود غومي، والمبحث الثاني يدور حول آيات أهل الكتاب في القرآن الكريم وأبعادها الدعوية. وأما المبحث الثالث فيشمل أثر تفسير الشيخ أبي بكر محمود غومي لآيات أهل الكتاب في العلاقات الإسلامية-المسيحية في نيجيريا، بينما يقدم المبحث الرابع دراسة تقويمية علمية لمنهج الشيخ أبي بكر محمود غومي في تفسير آيات أهل الكتاب وآثاره.

المبحث الأول: الشيخ أبو بكر محمود غومي وسياقه العلمي والدعوي

يُعدّ الشيخ أبو بكر محمود غومي أحد أعلام الفكر الإسلامي والدعوة في نيجيريا خلال القرن العشرين، وقد نشأ في بيئة علمية تقليدية في شمال البلاد، حيث تلقّى علومه الشرعية الأولى على أيدي علماء محليين، في عام 1931م، التحق بالمدرسة الابتدائية في دوغون داجي (Dogon Daji) بولاية سوكوتو، حيث أظهر تفوقاً في الدراسات العلمانية والواجبات الدينية على حد سواء[77]. ثم انتقل إلى المدرسة الوسطى في سوكوتو (Sokoto Middle School) بين عامي 1935 و1942م، حيث تعرف على شخصيات بارزة ستصبح لاحقاً من أهم قادة نيجيريا، مثل السيد أحمد بيلو والرئيس النيجيري السابق شيهو شاغاري[78].

والتحق الشيخ بمدرسة القضاء في سوكوتو (Khadi School) عام 1942م، ثم انتقل إلى كلية القانون في كنو (Kano Law School) التي أصبحت لاحقاً مدرسة الدراسات العربية، وتخرج منها عام 1947م بعد أن أكمل تدريبه كقاضٍ شرعي[79]. وفي الفترة من 1953 إلى 1955م، واصل تعليمه العالي في معهد بخت الرضا للتربية في السودان، حيث درس أصول التربية واللغة العربية والتاريخ والرياضيات والإنجليزية[80]. وفي الفترة ما بين 1957م و1959محينما عُين مترجماً لحكومة شمال نيجيريا في الشؤون المتعلقة بالمملكة العربية السعودية[81]، ثم المسؤول الأول عن شؤون الحجاج في غرب أفريقيا في المملكة العربية السعودية تعرف على شخصيات علمية عالمية بارزة[82]، الأمر الذي أسهم في تكوينشخصيته العلمية والمنهجية، ولا سيما في مجال العقيدة والتفسير والدعوة[83].

---

77 Sheikh Abubakar Gumi and Ismaila A. Tsiga, *Where I Stand* (Ibadan: Spectrum Books, 1992), 18.

78 Sheikh Abubakar Gumi and Ismaila A. Tsiga, *Where I Stand* (Ibadan: Spectrum Books, 1992), 20-23.

79 Encyclopedia.com. "Abu Bakr Gumi (1922–1992)." https://www.encyclopedia.com/religion/encyclopedias-almanacs-transcripts-and-maps/abu-bakr-gumi-1922-1992

80 Gumi, A. M., & Tsiga, I. A. (1992). Where I Stand. Ibadan: Spectrum Books, p. 45.

81 Sheikh Abubakar Gumi and Ismaila A. Tsiga, *Where I Stand* (Ibadan: Spectrum Books, 1992), 66-69.

82 Sheikh Abubakar Gumi and Ismaila A. Tsiga, *Where I Stand* (Ibadan: Spectrum Books, 1992), 86-89.

83 John N. Paden, *Religion and Political Culture in Kano* (Berkeley: University of California Press, 1973), 215–218.

وقد شغل الشيخ غومي مناصب علمية وقضائية بارزة، من بينها عمله قاضيًا شرعيًا ومستشارًا دينيًا، كما كان له حضـــور قوي في المنابر الدعوية والإعلامية. ولم يكن اهتمامه بالدعوة مقتصرًـــا على الجانب الوعظي، بل تجاوزه إلى معالجة القضـــايا الاجتماعية والدينية الكبرى، وفي مقدمتها قضـــية العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين في مجتمع متعدد الأديان كالمجتمع النيجيري.

اتسـم المجتمع النيجيري الذي عاش فيه الشـيخ غومي بتداخل ديني واضـح، خصـوصًـا في المناطق الوسطى والجنوبية، حيث يجاور المسلمون المسيحيين في القرى والمدن والأسواق. وقد وعى الشيخ هذا الواقع، فكان يؤكد في خطابه الدعوي أن الإسلام دين دعوة وبيان، لا دين إكراه وعدوان، مستندًا في ذلك إلى النصـوص القرآنية، وخاصـة آيات أهل الكتاب. ومن عباراته المشـهورة في هذا السـياق قوله:

الإســـلام جاء ليُبلّغ الناس الحق بالحجة، لا ليُكرههم عليه بالقوة، والله تعالى يقول: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾"[84].

كما كان الشـيخ غومي شـديد التأكيد على ضرورة التمييز بين الموقف العقدي من عقائد أهل الكتاب، والموقف الاجتماعي من أتباعها، إذ يرى أن وضـــوح الموقف العقدي لا يتعارض مع العدل وحســـن المعاملة. وقد صرّح في أحد دروسه التفسيرية بقوله:

"نحن نعتقد بطلان ما خالف التوحيد من عقائد النصـــارى وغيرهم، ولكن هذا لا يبيح الظلم ولا الاعتداء، فالقرآن فرّق بين الحكم على العقيدة والحكم على الناس"[85].

ويكشـــف هذا الطرح عن وعي منهجي عميق بطبيعة الخطاب القرآني، خاصـــة قوله تعالى: ﴿لَيْسُـــوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾، وهو أصل قرآني كثيرًا ما استحضره الشيخ في حديثه عن العلاقات الدينية. وقد أكّد في كتابه *العقيدة الصـــحيحة* أن التعميم في الحكم على أهل الكتاب مخالف للعدل القرآني، وأن الإنصاف مبدأ شرعي لا يسقط بالاختلاف الديني[86].

ومن هنا، يمكن القول بأن الشيخ غومي لم يكن مفسرًا نظريًا منعزلاً عن واقعه، بل كان عالمًا مصلحًا تعامل مع التفسـير بوصـفه أداة لتقويم الفكر، وتهذيب السـلوك، وتشـكيل العلاقة بين المسـلمين وغيرهم. وقد مهّد هذا السياق العلمي والدعوي لمنهجه الخاص في تفسير آيات أهل الكتاب، وهو ما ستتناوله المباحث اللاحقة من هذه المقالة.

المبحث الثاني: آيات أهل الكتاب في القرآن الكريم وأبعادها الدعوية

احتلّ خطاب أهل الكتاب مسـاحةً بارزة في القرآن الكريم، سـواء من حيث عدد الآيات أو من حيث تنوّع الموضـــوعات التي تناولتها. ويعود ذلك إلى المكانة الخاصـــة التي يحتلها أهل الكتاب في البناء

[84] أبو بكر محمود غومي، *محاضرات في الدعوة والإصلاح*، كنو: دار الدعوة، دون تاريخ، 45.

[85] غومي، *دروس في تفسير القرآن الكريم*، تسجيل صوتي محفوظ بمكتبة مركز الدعوة، كنو.

[86] أبو بكر محمود غومي، *العقيدة الصحيحة وما يضادها*، كنو: مطبعة نور الإسلام، 1985)، 112

العقدي والتشريعي للإسلام، إذ يجمعهم بالمسلمين أصل الوحي السماوي، مع وقوعهم – من منظور القرآن – في انحرافات عقدية ومنهجية استدعت التقويم والتصحيح. ومن ثمّ فإن دراسة آيات أهل الكتاب تمثل مدخلاً أساسيًا لفهم الرؤية القرآنية لتشكيل العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين في المجتمعات المتعددة الأديان.

مفهوم أهل الكتاب في القرآن الكريم

يطلق مصطلح *أهل الكتاب* في الاستعمال القرآني على اليهود والنصارى، بوصفهم أتباع ديانات سماوية أُنزلت عليهم كتب إلهية قبل القرآن الكريم. وقد ورد هذا المصطلح في مواضع متعددة من القرآن، مقرونًا بخطاب يتسم أحيانًا بالدعوة واللين، وأحيانًا أخرى بالنقد والاحتجاج، تبعًا لموضوع الخطاب وسياقه.

ويؤكد المفسرون أن هذا الوصف يحمل دلالة تكريمية من جهة الانتساب إلى الوحي، مع عدم إغفال ما طرأ على تلك الديانات من تحريف وانحراف. يقول الإمام القرطبي:

"خصّ الله أهل الكتاب بهذا الاسم لما كان عندهم من بقايا الكتب المنزلة، وإن دخلها التحريف والتبديل"[87].

ومن هنا، فإن القرآن لم يتعامل مع أهل الكتاب بوصفهم فئة واحدة متجانسة، بل قرّر مبدأ التفريق والتمييز، كما في قوله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾، وهو أصل محوري له أثر بالغ في ضبط الخطاب الدعوي والعلاقات الاجتماعية.

تصنيف آيات أهل الكتاب من حيث الموضوع

يمكن تصنيف آيات أهل الكتاب في القرآن الكريم – من حيث مضامينها الدعوية – إلى محاور رئيسة، تتكامل فيما بينها لتشكّل رؤية قرآنية شاملة:

1. **آيات الدعوة إلى التوحيد وتصحيح العقيدة:** مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾، حيث يُبرز القرآن وحدة أصل الدعوة، ويجعل التوحيد أساس الحوار الديني. وقد عدّ ابن عاشور هذه الآية «أصلًا في منهج الدعوة مع أهل الكتاب"[88].
2. **آيات نقد الغلو والانحراف العقدي:** كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾، وهي آيات تهدف إلى تصحيح المفاهيم العقدية، لا إلى إثارة العداوة، وهو ما يدل على البعد الإصلاحي في الخطاب القرآني.
3. **آيات الإنصاف وبيان التفاوت بينهم:** مثل قوله تعالى: ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾، حيث يقرّر القرآن وجود فئة صالحة مؤمنة، وهو ما يؤسس لمبدأ العدل وعدم التعميم.

[87] القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، تحقيق أحمد البردوني وآخرين (القاهرة: دار الكتب المصرية، 1964)، 4: 102.

[88] محمد الطاهر ابن عاشور، *التحرير والتنوير*، تونس: الدار التونسية للنشر، 1984، 3: 225.

4. **آيات تنظيم العلاقة الاجتماعية والتشريعية:** كإباحة طعام أهل الكتاب والزواج من نسائهم، والدعوة إلى مجادلتهم بالتي هي أحسن، مما يدل على أن الأصل في العلاقة هو السلم والتعايش، لا الصدام.

الأبعاد الدعوية لآيات أهل الكتاب

تحمل آيات أهل الكتاب أبعادًا دعوية عميقة تتجاوز مجرد البيان العقدي، ويمكن إجمال هذه الأبعاد فيما يأتي:

1. **البعد الحِواري**: إذ اعتمد القرآن أسلوب الحوار والاحتجاج العقلي، لا القسر والإكراه. وقد قرّر هذا المعنى الإمام الطبري عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، حيث قال: "أمر الله المؤمنين بالرفق في خطابهم، رجاء قبول الحق"[89].

2. **البعد الأخلاقي:** حيث ربط القرآن بين الاختلاف الديني والالتزام بمبادئ الأخلاقية الإنسانية القيمة، كالعدل، والصدق، وحسن المعاملة، وهو ما يظهر في آيات الإنصاف وعدم التعميم.

3. **البعد الواقعي:** فالخطاب القرآني لم يكن نظريًا مجردًا، بل راعى واقع التعايش الاجتماعي، وأرسى قواعد عملية لإدارة هذا التعايش، وهو ما يجعل هذه الآيات صالحة للتوظيف في البيئات المعاصرة.

رابعًا: آيات أهل الكتاب أساسًا لبناء العلاقات الدينية المعاصرة

إن المتأمل في مجموع آيات أهل الكتاب يدرك أن القرآن وضع إطارًا متوازنًا للعلاقة مع غير المسلمين، يقوم على الجمع بين الثبات العقدي والانفتاح الاجتماعي. وقد أشار عدد من الباحثين المعاصرين إلى أن هذا الإطار يمكن أن يشكّل أساسًا نظريًا متينًا لبناء علاقات دينية مستقرة في المجتمعات المتعددة[90].

ويُعدّ هذا الفهم الشامل لآيات أهل الكتاب الخلفية النظرية التي انطلق منها الشيخ أبو بكر محمود غومي في تفسيره وخطابه الدعوي، حيث تعامل مع هذه الآيات بوصفها نصوصًا موجِّهة للواقع، لا مجرد موضوعات للجدل العقدي. وسيظهر أثر ذلك بوضوح في تحليل منهجه التفسيري في المبحث التالي.

المبحث الثالث: أثر تفسير الشيخ أبي بكر محمود غومي لآيات أهل الكتاب في العلاقات الإسلامية–المسيحية في نيجيريا

لم يبقَ تفسير الشيخ أبي بكر محمود غومي لآيات أهل الكتاب في إطار التنظير العلمي أو الخطاب الوعظي المجرد، بل تجاوز ذلك إلى إحداث أثرٍ عملي ملموس في طبيعة العلاقات بين المسلمين وغير المسلمين في نيجيريا. فقد أسهم منهجه التفسيري الدعوي في إعادة توجيه الخطاب الإسلامي

[89] الطبري، *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*، تحقيق أحمد شاكر، القاهرة: دار المعارف، 1955، 20: 12.

[90] Abdullah Saeed, *Islamic Thought: An Introduction* (London: Routledge, 2006), 148–150.

نحو أسس قرآنية تقوم على العدل، والحوار، وضبط الخلاف الديني، بما يخدم الاستقرار الاجتماعي في مجتمع متعدد الأديان.

أولاً: توجيه الخطاب الدعوي نحو الحوار بدل الصدام

أدّى تفسير الشيخ غومي لآيات الحوار مع أهل الكتاب، ولا سيما قوله تعالى: ﴿وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، إلى ترسيخ منهج دعوي قائم على الحجة والبيان بدل المواجهة والصدام. وفسر الشيخ غومي (إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) بقوله:

"المجادلة التي هي أحسن كالدعاء إلى الله بآياته والتنبيه على حججه، رجاء إجابتهم إلى الإيمان لا على طريق الاغلاظ والمخاشنة"[91]. فقد كان الشيخ يؤكد في خطبه ومحاضراته أن القرآن لم يأذن بالصراع الديني ابتداءً، وإنما دعا إلى الحوار الهادئ الذي يُظهر الحق دون إثارة الفتن. وقد عبّر عن هذا التوجه بقوله:

"الدعوة إذا خرجت عن الحكمة صارت سببًا للفتنة، والقرآن أمرنا أن نجادل أهل الكتاب بالتي هي أحسن، لا بالتي هي أشنع"[92].

وقد انعكس هذا الفهم في خطاب كثير من الدعاة المتأثرين بالشيخ غومي، حيث اتجهوا إلى تبني أسلوب الحوار العلني والمناظرات العلمية، بدل التحريض أو التكفير، مما أسهم في تخفيف حدة التوتر الديني، خاصة في المناطق المختلطة دينيًا في شمال ووسط نيجيريا.

ثانيًا: الحد من النزعات التكفيرية والتعميمية

كان لتفسير الشيخ غومي لآيات الإنصاف، مثل قوله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾، أثر واضح في الحد من النزعات التكفيرية التي تميل إلى التعميم في الحكم على غير المسلمين. فقد شدّد الشيخ على أن الحكم على العقائد لا يعني الحكم على الأفراد أو المجتمعات بأحكام مطلقة.

ويقول في هذا السياق:

"ليس كل نصراني محاربًا، ولا كل يهودي عدوًا، والقرآن صرّح بأن أهل الكتاب مختلفون، فمن ظلمهم جميعًا فقد خالف نص القرآن"[93].

وقد أسهم هذا التوجيه في بناء وعي ديني أكثر اتزانًا لدى طلاب العلم والدعاة، حيث أصبح التفريق بين الموقف العقدي والموقف الاجتماعي أصلاً في التعامل مع غير المسلمين، مما قلّل من خطاب الكراهية الديني، وساعد في حفظ السلم الأهلي.

ثالثًا: تشكيل العلاقة الاجتماعية والتعايش اليومي

[91] جومي، أبو بكر محمود، *رد الأذهان إلى معاني القرآن*، مؤسسة غومبي للتجارة، 1408هـ/ 1987 م، ج2، ص527.

[92] أبو بكر محمود غومي، *محاضرات في الدعوة والإصلاح*)كنو: دار الدعوة، دون تاريخ)، 90.

[93] أبو بكر محمود غومي، *العقيدة الصحيحة وما يضادها*)كنو: مطبعة نور الإسلام، 1985)، 118.

اعتمد الشـــيخ غومي في تفســـيره لآيات المعاملات مع أهل الكتاب، مثل إباحة طعامهم والدعوة إلى العدل في التعامل، على إبراز البعد الاجتماعي للإســـلام. فقد كان يرى أن هذه الأحكام الشرـعية تمثل دليلاً عمليًا على إمكانية التعايش دون ذوبان الهوية الإسلامية.
وقد أكّد ذلك بقوله:

"إباحة طعام أهل الكتاب والزواج من نســـائهم دليل على أن الإســـلام لم يأتِ ليعزل المســـلمين عن غيرهم، بل ليُنظم العلاقة معهم بالحق والعدل"[94].

وساعد هذا الفهم في ترسيخ أنماط من التعايش الاجتماعي في الأسواق، وأماكن العمل، والمؤسسات التعليمية، حيث أصبح كثير من المسـلمين ينظرون إلى غير المسـلمين بوصـفهم شركاء في الوطن، لا خصومًا دائمين، ما دام السلم محفوظًا والحقوق مصونة.

رابعًا: الإسهام في السلم المجتمعي والاستقرار الديني
أسـهم تفسـير الشـيخ غومي لآيات أهل الكتاب في دعم السـلم المجتمعي من خلال ضـبط الخطاب الديني ومنع اسـتغلال النصـوص الشرـعية لتبرير العنف. فقد كان الشـيخ يرى أن كثيرًا من النزاعات الدينية في نيجيريا ناتج عن سوء الفهم للنصوص أو إسقاطها في غير مواضعها.
وفي هذا الصدد يقول:

"إذا أُخذ القرآن بغير علم، صار سببًا للفرقة بدل أن يكون سببًا للهداية، ولهذا وجب على العلماء أن يبيّنوا للناس مقاصد الآيات"[95].

وقد لاحظ عدد من الباحثين أن الخطاب الإصلاحي الذي تبنّاه الشيخ غومي أسهم في تهدئة التوترات الدينية خلال فترات حســاســة من تاريخ نيجيريا، ووفّر نموذجًا لقيادة دينية واعية بدورها في حفظ السلم الأهلي[96].

خامسًا: أثر منهجه في الخطاب الديني المعاصر في نيجيريا
لم يقتصرــ أثر تفســـير الشـــيخ غومي على مرحلته الزمنية، بل امتد إلى الخطاب الديني المعاصر في نيجيريا، حيث لا يزال كثير من الدعاة والمؤسسات الإسلامية يستلهمون منهجه في التعامل مع غير المســلمين. ويتجلى هذا الأثر في التركيز على الحوار، والتحذير من التعميم، وربط الدعوة بالمقاصـد العامة للشريعة.
ويُعدّ هذا الامتداد دليلاً على أن تفسير الشيخ غومي لآيات أهل الكتاب لم يكن استجابة ظرفية لواقع محدد، بل مشروعًا فكريًا دعويًا قابلاً للاستمرار والتطوير في سياقات متعددة.

[94] غومي، *محاضرات في الدعوة والإصلاح*، 104.

[95] المصدر نفسه، 33.

[96] John N. Paden, *Religion and Political Culture in Kano* (Berkeley: University of California Press, 1973), 245–247.

المبحث الرابع: التحليل العلمي لمنهج الشـيخ أبي بكر محمود غومي في تفسـير آيات أهل الكتاب وآثاره

يهدف هذا المبحث إلى تحليل منهج الشيخ أبي بكر محمود غومي في تفسير آيات أهل الكتاب تقويمًا علميًا متوازنًا، يبرز جوانب القوة والإسهام، ويقف في الوقت نفسه على حدود هذا المنهج وتحدياته في السياق النيجيري المتعدد الأديان، مع ربط ذلك بالمقاصد العامة للشريعة الإسلامية.

أولًا: الإيجابيات العلمية والدعوية لمنهجه

يتميّز منهج الشـيخ غومي بعدد من الإيجابيات العلمية والدعوية التي جعلته ذا أثر ملموس في الواقع الاجتماعي والديني، ومن أبرزها:

1. **الالتزام بالعدل القرآني ورفض التعميم:** اعتمد الشـيخ غومي على الأصـل القرآني القاضي بأن أهل الكتاب "ليسـوا سـواء"، فجاء تفسـيره منضـبطًا بميزان العدل، بعيدًا عن الأحكام الجماعية التي تؤدي إلى تأجيج الصراع. ويُعدّ هذا التوجه منسـجمًا مع مقاصـد الشريعة في حفظ النفس والسلم الاجتماعي، كما قرّره العلماء في باب السياسة الشرعية[97].

2. **الربط بين التفسـير والواقع الاجتماعي:** لم يتعامل الشـيخ مع آيات أهل الكتاب بوصـفها نصـوصًـا تاريخية مرتبطة بسـياق النزول فقط، بل قرأها قراءة وظيفية تراعي واقع التعايش الديني في نيجيريا. وهذا المنهج يندرج ضمن ما يسميه بعض الباحثين المعاصرين بـ"التفسير الاجتماعي" الذي يستهدف إصلاح الواقع من خلال النص[98].

3. **تحقيق التوازن بين الثبات العقدي والانفتاح الاجتماعي:** حافظ الشـيخ غومي على وضـوح الموقف العقدي من عقائد أهل الكتاب، وفي الوقت نفسـه دعا إلى التعايش السـلمي القائم على العـدل والحوار. وقـد أسـهم هـذا التوازن في تقـديم نموذج دعوي يجمع بين الهويـة الإسلامية والاستقرار المجتمعي، دون الوقوع في التفريط أو التشدد.

4. **الإسـهام في ضـبط الخطاب الدعوي:** أدّى تفسـير الشـيخ لآيات الحوار والجدال بالتي هي أحسن إلى ترشيد الخطاب الدعوي، وتحويله من خطاب صدامي إلى خطاب حِجَاجي أخلاقي، وهو ما يتفق مع ما قرّره القرآن في منهج الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

ثانيًا: حدود المنهج والتحديات التي واجهته

على الرغم من هذه الإيجابيات، فإن منهج الشـيخ غومي لا يخلو من تحديات وحدود، يمكن إجمالها فيما يأتي:

[97] ابن تيمية، *السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية*)القاهرة: دار الكتب العلمية، 1998)، 12–15.

[98] يوسف القرضاوي، *كيف نتعامل مع القرآن العظيم*)القاهرة: دار الشروق، 2000)، 142.

1. **تأثر المنهج بالسياق التاريخي والسياسي:** تشكّل خطاب الشيخ في سياق تاريخي خاص، تميّز بوجود سلطة تقليدية وتأثير قوي للمؤسسات الدينية، وهو ما قد يجعل بعض أطروحاته بحاجة إلى إعادة قراءة في ظل التحولات السياسية والاجتماعية المعاصرة[99].

2. **صعوبة التطبيق في ظل التوترات الدينية المعاصرة:** يواجه منهج التعايش القائم على الحوار تحديات كبيرة في بيئات تشهد عنفًا دينيًا أو استغلالاً سياسيًا للدين، حيث لا يكون الخطاب العلمي وحده كافيًا لمعالجة جذور الصراع، وهو ما يتطلب تكامل الجهود الدعوية والسياسية والاجتماعية.

3. **الحاجة إلى تأطير منهجه مقاصديًا بشكل أوسع:** على الرغم من أن منهج الشيخ غومي منسجم عمليًا مع مقاصد الشريعة، إلا أن هذا البعد لم يُصرَّح به تنظيرًا في كتاباته، مما يفتح المجال أمام الباحثين المعاصرين لإعادة قراءته في ضوء المقاصد الكلية للشريعة.

ثالثًا: منهج الشيخ غومي في ضوء مقاصد الشريعة

يمكن قراءة تفسير الشيخ غومي لآيات أهل الكتاب قراءة مقاصدية تُظهر انسجامه مع المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، ولا سيما:

- **مقصد حفظ الدين** من خلال الدعوة إلى التوحيد وتصحيح العقائد.
- **مقصد حفظ النفس** عبر رفض العنف الديني وضبط الصراع.
- **مقصد حفظ السلم الاجتماعي** بتنظيم العلاقة مع غير المسلمين على أساس العدل.

وقد قرّر الإمام الشاطبي أن "الشريعة إنما وُضعت لمصالح العباد في العاجل والآجل"[100]،وهو ما ينسجم مع توجها لشيخ غومي في توظيف التفسيرلخدمة الاستقرار المجتمعي.

رابعًا: القيمة العلمية لمنهجه في الدراسات المعاصرة

يُمثّل منهج الشيخ أبي بكر محمود غومي إضافة نوعية إلى الدراسات المعاصرة في مجال التفسير الدعوي والعلاقات الدينية، إذ يقدّم نموذجًا إفريقيًا أصيلاً في التعامل مع التعدد الديني من منظور قرآني. وتكمن أهمية هذا المنهج في قابليته للتطوير والتوظيف في مجتمعات إسلامية أخرى تواجه تحديات مشابهة.

الخاتمة

خلصت هذه الورقة إلى أن تفسير الشيخ أبي بكر محمود غومي لآيات أهل الكتاب لم يكن تفسيرًا تقليديًا محصورًا في البيان اللغوي أو العقدي، بل كان مشروعًا دعويًا إصلاحيًا ارتبط ارتباطًا وثيقًا بالواقع الديني والاجتماعي في نيجيريا. فقد انطلق الشيخ في تفسيره من مركزية التوحيد بوصفه جوهر

[99] Toyin Falola, *The History of Nigeria* (Westport: Greenwood Press, 1999), 198–201.

[100] الشاطبي، *الموافقات*، تحقيق عبد الله دراز (بيروت: دار المعرفة، 1997)، 2: 8.

الرسالات السماوية، مع التزام واضح بمبدأ العدل القرآني الذي يرفض التعميم ويُقرّ بأن أهل الكتاب ليسوا سواء.

وأظهر البحث أن الشيخ غومي جمع في منهجه بين وضوح الموقف العقدي والانفتاح الاجتماعي المنضبط، فميّز بين نقد العقائد المحرّفة وضرورة حسن المعاملة، واعتمد أسلوب الحوار والجدال بالتي هي أحسن في التعامل مع غير المسلمين. وقد أسهم هذا المنهج في توجيه الخطاب الدعوي في نيجيريا نحو ترشيد الخلاف الديني، والحد من النزعات التكفيرية، وتعزيز السلم المجتمعي في بيئة تتسم بالتعدد الديني.

كما بيّنت المقالة أن القيمة العلمية لمنهج الشيخ غومي تتجاوز سياقه المحلي، إذ يمكن الإفادة منه كنموذج تفسيري دعوي في مجتمعات إسلامية معاصرة تواجه تحديات مشابهة في إدارة العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين. ويوصي البحث بضرورة تعميق الدراسات حول التفسير الدعوي في إفريقيا، وإعادة قراءة تراث الشيخ غومي في ضوء مقاصد الشريعة ومتطلبات الواقع المعاصر، بما يسهم في بناء خطاب إسلامي متوازن يجمع بين الثبات العقدي والاستقرار الاجتماعي.

المراجع

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. *السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية*. القاهرة: دار الكتب العلمية، 1998م.

ابن عاشور، محمد الطاهر. *التحرير والتنوير*. تونس: الدار التونسية للنشر، 1984م.

الشاطبي، إبراهيم بن موسى. *الموافقات*. تحقيق عبد الله دراز. بيروت: دار المعرفة، 1997م.

الطبري، محمد بن جرير. *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*. تحقيق أحمد محمد شاكر. القاهرة: دار المعارف، 1955م.

غومي، أبو بكر محمود. *العقيدة الصحيحة وما يضادها*. كانو: مطبعة نور الإسلام، 1985م.

غومي، أبو بكر محمود. *دروس في تفسير القرآن الكريم*. تسجيلات صوتية محفوظة بمكتبة مركز الدعوة، كانو.

غومي، أبو بكر محمود. *محاضرات في الدعوة والإصلاح*. كانو: دار الدعوة، د.ت.

القرضاوي، يوسف. *كيف نتعامل مع القرآن العظيم*. القاهرة: دار الشروق، 2000م.

القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري. *الجامع لأحكام القرآن*. تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. القاهرة: دار الكتب المصرية، 1964م.

Encyclopedia.com. "Abu Bakr Gumi (1922–1992)." https://www.encyclopedia.com/religion/encyclopedias-almanacs-transcripts-and-maps/abu-bakr-gumi-1922-1992

Falola, Toyin. *The History of Nigeria*. Westport: Greenwood Press, 1999.

John N. Paden, *Religion and Political Culture in Kano,* Berkeley: University of California Press, 1973.

Paden, John N. *Religion and Political Culture in Kano*. Berkeley: University of California Press, 1973.

Saeed, Abdullah. *Islamic Thought: An Introduction*. London: Routledge, 2006.

Sheikh Abubakar Gumi and Ismaila A. Tsiga, *Where I Stand*, Ibadan: Spectrum Books, 1992.